مجلة جامعة *الملك سعود*، م ١٤ ، *الآداب* (١)، ص ص ٢٧-٥١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)

أثر الإسلام في شعر النابغة الشَّيْباني

علي ارشيد المحاسنة
أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ،
جامعة مؤتة ، الكرك ، المملكة الأردنية الهاشمية

(قدم للنشر في ٤/ ٢/ ١٤١٨هـ، وقبل للنشر في ٢٥/ ١١/ ١٤١٨هـ)

مُلَخَّص البحث. يُحاول هذا البحثُ إبرازَ أثر الإسلام في شعر النابغة الشيباني ، من خلال أربعة محاور هي : الإيمان بالله ، والتقوى ، والإيمان بالقضاء والقدر وحتمية الموت ، والأخلاق والمعاملات . ويحاول أيضا إثبات أنّ النابغةَ الشيباني لم يكن نصرانيا كما أشيع عند بعض القدماء والمحدثين ، بل كان مُسْلما صادقا في إسلامه ، مُؤْمنا عميقا في إيمانه ، وكان مسلما من بدايةِ حياته ، ولم يكن على دين النصرانية ثم تحول إلى الإسلام ، أو أنه دخل في الإسلام في سنٍّ مُتَقَدِّمةٍ كما ادّعى بعض المحدثين .

النابغةُ الشيباني هو عبدُ الله بن المخارق ، شاعرٌ بدويٌّ من شعراء الدولة الأموية ،(١) شاعرٌ مُحسِنٌ ،(٢) وهو أحد النوابغ الأربعة : النابغة الذبياني ، ونابغة بني جعدة ، وهو قيس بن

---

(١) ابو الفرج علي بن الحسين ، الأصفهاني ، *الأغاني* (مصور عن طبعة دار الكتب ، بيروت : مؤسسة جمّال للطباعة والنشر ، د. ت.)، ٧ : ١٠٦ .

(٢) الحسن بن بشر بن يحيى ، الآمدي ، *المؤتلف والمختلف* ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦١م)، ٢٩٤ .

عبد الله ، ونابغة بني الحارث ، وهو يزيد بن أبّان ، ونابغة بني شيبان ، سمُّوا بالنوابغ ؛ لأنهم نبغوا بالشعر بعدما كبروا . (٣)

ولم ينل نابغةُ بني شيبان العنايةَ والاهتمامَ اللذْين يليقان به ، فهو شاعرٌ كبير من شعراء الدولة الأموية ، يدل شعرُهُ على اقتداره ، وعُلُوِّ كعبه في مضمار الشعر ، وأستغربُ صنيعَ ابن سلاَّم في عدم سَلْك النابغة الشيباني في *طبقاته* ، وإذا علمنا أن معيار ابن سلاّم في سَلْك الشعراء في *طبقاته* : الجودة والكثرة ، فأقول : إن النابغة الشيباني قد يكون أحقَّ من غيره ممَّنْ سَلَكهُم ابنُ سلاّم في طبقات الإسلاميين .

وإذا كان هذا هو حال النابغة الشيباني عند ابن سلام ، فَحَالُهُ عند أبي الفرج الأصفهاني ليس مُرْضيا كذلك ، فلم يُنصفْه أبو الفرج ، والترجمةُ التي أفردها له في سفره هي دون مرتبة النابغةَ . (٤) وفي ظني أنه لوَلا صلة النابغة ببعض خلفاء بني أمية لما أوْرَدَ أبو الفرج خبرَهُ ، «فلقد تركز الاهتمام حول شعراء القصر الأموي مع أن الحياة لم تكن بلاطا فحسب . »(٥) «كما أن مجدَ الشاعر مُرْتَهَنٌ بالوصول إلى باب السلطان ، ومكانته الفنية يحددها القصر ، وحُظوتُهُ برضى الأمير مضمونةٌ طالما قصر وجدَانَهُ على تأييده والتغني بسجاياه . » (٦) فمعايير القدماء - في أغلبها - لم تكن فنيّة بالدَرجة الأولى ، ولم يلتفت القدماء الى شعر الشاعر بالدرجة الكافية ، فقد اهتم مُؤَرِّخُو الأدب بمَنْ له صلةٌ بطريقة أو بأخرى بقصور الخلفاء .

نعم ، لم ينل النابغة الشيباني العناية الكافية التي تليق به ، ولم يُقَدَّر حقَّ قدره من

---

(٣) انظر : مجد الدين أسعد بن إبراهيم ، النشابي ، *المذاكرة في ألقاب الشعراء* ، تحقيق شاكر العاشور ، ط١ (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨م)، ٢٥ ؛ محمد بن حبيب ، *ألقاب الشعراء* (ضمن *نوادر المخطوطات*) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١ (القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٧٢م) ، ٢ : ٣٢١ .

(٤) الأصفهاني ، *الأغاني*، ٧ : ١٠٦ - ١١٣ .

(٥) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ، *قيم جديدة لأدبنا القديم والمعاصر* ، ط١ (القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٠م) ، ١١١ .

(٦) بنت الشاطىء، *قيم جديدة*، ١٠٢ .

قبل القدماء ، مع أن شعرَهُ خليقٌ أن يضعَهُ في مصاف كبار الشعراء في العصر الأموي .(٧) كما أنني وجدتُ في شعْره تأثرا عميقا بالإسلام -شأنه في ذلك شأن غيره من شعراء العصر الأموي- ولكن هذا التَأثَرَ قد يكون أبرز في شعْر النابغة الشيباني وأوضح ، كما يشهد بذلك شعرُه ، وسيأتي بيان ذلك بعد قليل .

ومن القدماء الذين وقفوا عند (تديُّن) النابغة أبو الفرج الأصفهاني ، فمع عدم إنصافه النابغةَ في ترجمته القصيرة التي أوردها - كما أسلفتُ - فقد عدَّه نصرانيا ، يقول عنه : «وكان فيما أرى نصرانيا لأني وجدته في شعره يَحْلفُ بالإنجيل والرُّهبان ، وبالأيْمان التي يحلفُ بها النصارى . »(٨) وقال الصفدي قيل إنه كان نصرانيا .(٩) وقد يكون متأثرا برأي أبي الفرج .

أما الباحثون المُحْدَثُون الذين عرضوا لتديُّن النابغة ، فهم فريقان : فريقٌ رأى أنه كان نصرانيا ، والفريق الآخر رأى غير ذلك ، وأنه كان مسلما ، وإن اختلف هؤلاء في تعليل وجود بعض صيَغ القَسَم والأيمان التي نجدها في شعره وكان يحلف بها النصارى ، فمن الفريق الأول يأتيَ الأب لويس شيخو الذي أكد نصرانيته ، وسَلَكَهُ مع شعراء النصرانية

---

(٧) لم ينل النابغة الشيباني العناية الكافية من قبل الباحثين المحدثين ، وأول اهتمام بالشاعر هو لعبد الكريم يعقوب ، وللباحث المذكور غير فضل : منها اهتمامه بتحقيق ديوان النابغة ، ومنها أيضا دراسته التي أفردها عن النابغة الشيباني ، وهي أطروحة لدرجة الدكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الإسكندرية لسنة ١٩٨٠م . ويبدو أن الرسالة -حسب علمي- ما زالت مخطوطة . وعلى أية حال فللباحث الفضل كل الفضل في تسليط الأضواء على هذا الشاعر ، كما يحمد له وقوفه عند هذا الشاعر الأموي المقتدر . انظر : النابغة الشيباني ، عبد الله بن المخارق ، *ديوانه* ، تحقيق عبد الكريم يعقوب (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٨٧م)، ١٦ : ٢٩١ (قائمة المصادر والمراجع) .

(٨) الأصفهاني ، *الأغاني*، ٧ : ١٠٦ .

(٩) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، *الوافي بالوفيات* ، تحقيق دورتيا كرافولسكي، ط٢ (شتوتغارت : فرانز شتاينر ، ١٩٩١م)، ١٧ : ٣٦٢ .

بعد الإسلام. (١٠) وأمرُ لويس شيخو غريبٌ عجيبٌ، فقد ضمّ في سفره شعراءَ كثيرين عدَّهم نصارى، مع أنَّ شعرَهُم يشهد بغير ذلك تماما. كما أنه لم يُقَدِّم الدليل على نصرانية هؤلاء الشُّعراء. وعندما أعياه أمرُ النابغة ووجد في شعره قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك، ويُسَجِّل فرحَهُ وسرورَهُ لتحويل كنيسة البيزنطيين مسجدا، علل ذلك بارتداده للإسلام، وكأن النابغة الشيباني كان نصرانيا ثم ارتد للإسلام!! ثم بنى ذلك على احتمال واه لا يثبتُ أمام الدليل، وهو تهديد الخليفة للنابغة الشيباني، فقال لويس شيخو: «على أنَّ في ديوانه قصيدة تدل على أنّه ارتد للإسلام، وذلك في مدح الوليد، ومن المحتمل أن الوليد جذبه بالوعد أو الوعيد إلى جحود دينه، ولنا في تاريخه ما يثبتُ تشدُّدَه على النصارى، والله أعلم.»(١١)

ومن المحدثين الذين عدُّوا النابغة نصرانيا جورجي زيدان فقال: «وكان نصرانيا وفي شعره كثير من ذكر الإنجيل والرهبان ونحوهما.»(١٢) ثم استشهد ببعض أبياته التي ورد فيها ذكر الأيمان التي يحلف بها النصارى.

ومنهم أيضا المستشرق الفرنسي ريجي بلاشير، فقال عن تَدَيُّنه:(١٣) «وظل شأن العديد من رجال قبيلته على دين النصرانية، فترة من حياته» لكنه استدرك قائلا: «وعلى كل حال فإن الديوان الذي يحمل اسم النابغة - كما يقول بروكلمان - يدل في مواضع عديدة على اعتناق النابغة الإسلام وتحمسه له.»(١٤) ثم استدرك مرّة أخرى بقوله: «ويبدو التأثير الإسلامي واضحا جدا في الديوان، دالا على حماسة دينية جديرة بالملاحظة.»(١٥)

---

(١٠) لويس شيخو، *شعراء النصرانية بعد الإسلام*، ط٣ (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٢م)، ١٣٧ - ١٦٢.

(١١) شيخو، *شعراء النصرانية*، ١٥٦.

(١٢) جورجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية* (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢م)، ٢٦٤.

(١٣) ريجي بلاشير، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة عبد الحليم نجار، ط٢ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤م)، ٥٩٧.

(١٤) بلاشير، *تاريخ*، ٥٩٧.

(١٥) بلاشير، *تاريخ*، ٥٩٨.

ويبدو لي من خلال هذه الأقوال لبلاشير ، أنه يرى أنّ النابغة الشيباني كان على دين النصرانية ثم أسلم بعد ذلك ، وهذا ما نرفضه تماما ، وسيأتي بيان ذلك .

ومن المحدثين الذين وقفوا موقفا معارضا لذلك المستشرق كارل بروكلمان ، يقول -بعد أن أورد كلام أبي الفرج السابق ذكره- «ولكن في ديوانه ما يدل بوضوح على أنه كان مسلما . »(١٦) ثم رجّح أن النابغة دخل في الاسلام وهو متقدم السنّ. (١٧) ومنهم أيضا فؤاد سزكين ، قال : «وربما كان ينتمي إلى أسرة مسيحيّة ، وقد استنتج البعض ذلك من صيغ القسم عنده ، ومن قرائن أخرى . . . ولكّن أكثر شّعره يشهد دون شك ، بأنه من عمل شاعر إسلامي . »(١٨) وبمثل هذا تماما تحدث عفيف عبد الرحمن . (١٩) ومنَ المحدثين الذي أكّدُوا إسلاميّة النابغة الشيباني ، شوقي ضيف . يقول : «وفي ديوانه أشعار كثيرةٌ تدل على أنه اعتنق الإسلام . »(٢٠) وأكد عمر فروخ إسلامه ، فقال : «على أن الذي يبدو من الديوان أن نابغة بني شيبان كان مسلما . »(٢١) ثم يقول في موضع آخر في كتابه : «والأثر الديني في شعر نابغة بني شيبان بارزٌ جدا ، وله معان دينية واقتباس من القرآن الكريم . »(٢٢) وأكد عبد الكريم يعقوب ذلك قائلا : «وقد تبيّن لناً بعد الفحص والتدقيق في الروايات والأخبار وبعد قراءة شعره الذي بين أيدينا أنّه كان مسلما ، وأنّ ما ظهر في شعره من حلف بأيمان النصارى إنما كان بفعل تأثره بأُمّه النصرانية وبأمثالها من بني قومه وبالرهبان

---

(١٦) كارل بروكلمان ، *تاريخ الأدب العربي* ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط٥ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٣م)، ١ : ٢٣٥ .

(١٧) بروكلمان، *تاريخ*، ١ : ٢٣٦ .

(١٨) فؤاد سزكين ، *تاريخ التراث العربي* (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٩٨٣م): ٢ : ٣ : ١٠٧ .

(١٩) عفيف عبد الرحمن ، *معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الاموي* ، ط١ (عمان : دار المناهل ، ١٩٩٦م)، ٢٦٧ .

(٢٠) شوقي ضيف ، *العصر الإسلامي* ، ط٧ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠م) ، ٣٣٩ .

(٢١) عمر فرّوخ ، *تاريخ الأدب العربي* ، ط٥ (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٤م) ، ١ : ٦٨٥ .

(٢٢) فرّوخ، *تاريخ*، ١ : ٦٨٧ .

الذين مر بهم في أذيرتهم المنتشرة في بيئته من جهة ثانية . »(٢٣) كما رجَّح مجاهد مصطفى بهجت إسلام النابغة فقال : «والأرجح أنَّ هذا الشاعر مسلمٌ وليس بنصراني لوجود قطع عديدة انتظمت فيها معان إسلامية مستمدة من صور القرآن وتعاليمه ، ونُحسُّ عاطفَتَهُ ومَشَاعِرَهُ الإسلامية فيها حِيْن يُسَجّل انتصارات المسلمين على البيزنطيين ، وسرورِه لتحويل المسلمِين كنيسة المسيحيين مسجدا ، ويصف فرحته لمشهد الساجدين وهو كذلك يهجو النصارى . »(٢٤)

وقبل أن أعرض بالتفصيل لدراسة الأثر الإسلامي في شعر النابغة أود مناقشة رأي أبي الفرج الأصفهاني - وهو الأصلُ الذي اعتمد عليه بعضُ المحدثين في إقرار أحكامهم حول نصرانية النابغة الشيباني ، وكان الأب لويس شيخو أكثرهم حماسا واندفاعا لهذا - فأقول : إن ما ظهر في شعره من حَلْف بأيمان النصارى قد يكون بفعل تأثره بأُمّه النصرانية ، فقد ورد في خبره أنَّه مدح عبد الملك بن مروان ، وأشار عليه بخلع أخيه عبد العزيز وتولية ابنه العهد ، قال عنه عبد العزيز بعد أن بلغه خبرُه : «لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مُدْخَلا ضيّقا فأوردها موردا خطرا ، وبالله عليّ إن ظفرت به لأخضبنّ قدميه بدمه . »(٢٥) وقد يكون أيضا بفعل ما كان يسمعه ويراه من بني قومه ممن كانوا على النصرانية - كما يرى عبد الكريم يعقوب - أو بفعل رحلاته وتنقلاته وما كان يشاهده في هذه الأسفار والرحلات . ومن جهة أخرى فإن الأيمان التي كان يحلف بها النابغة لم ترد إلا نادرا ولا تكاد تجاوز بضع إشارات ، كما أن هذه الأيمان جاءت في معرض الصورة التي يَوَدُّ النابغةُ توضيحها ، ففي واحدة منها يُشبِّهُ النابغةُ الصوتَ المنبعث من اصطكاك فكّيْ الناقة أثناء مسيرها بأصوات أجراس الكنائس التي يقرعها الرهبان ، يقول :(٢٦)

كأنّ أصوات ألحيها إذا اصْطَدَمَتْ أصواتُ عيدانِ رهبانٍ إذا نَقَسُوا

---

(٢٣) *ديوان النابغة الشيباني*، (المقدمة) ، ١٤ .

(٢٤) مجاهد مصطفى بهجت ، *التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول* ، ط١ (بغداد : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٩٨٢م)، ٥٠ .

(٢٥) الأصفهاني ، *الأغاني*، ٧ : ١٠٨ .

(٢٦) *ديوان النابغة الشيباني* ، ٨٣.

والصورة في بيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .(٢٧)

وفي صورة أخرى يصف محبوبته التي يتغنى بجمالها وهي تغتسل فتبدو جميلة ناضرة كالتمثال الذي يتعهَّدُهُ الرهبان ، يقول :(٢٨)

ما دُميةٌ ظلَّت الرُّهبانُ تعهدُهـا   يوما بأحْسَنَ منها حين تَغْتَسلُ

وفي صورة ثالثة – ومن قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان – يقول :(٢٩)

آليـتُ جهـدا وصادقٌ قسَمي   بـربٍّ عبـد تُجنُّـهُ الكُـرُحُ(٣٠)
فهو يتلـو الإنجيـل يَدْرُسُـه   مـن خشية اللّـه قلْبُهُ قفـحُ(٣١)

وهذه الإشارات القليلة جاءت في معرض الصورة لتُوَضِّحَها وتُجَلِّيها ، وقد ترد عند شاعر آخر غير النابغة ، فهل يَعُدُّ النابغة نصرانيا لأجل هذا؟ ليس هذا فحسب ، بل يُوجد في شعره ما يُسَجِّل فرحته بتشييد الخليفة الأمُوي مسجدا على أنقاض بَيْعَة النصارى ، وفيها ما يفيد الهجاء لهم أيضا ، كما يقف مُتَأملا هذا الصرح الإسلامي الذي يمتاز بدقة البناء وروعة التصميم ، وجمال الزخارف ، وبجمال جدرانه التي ازدانت بالآيات القرآنية الكريمة ، يقول منها :(٣٢)

تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيـة   واللهُ يعلـمُ ما تُخـفي الشَّراسـيفُ
قلعتَ بَيْعَتَهُم عن جـوف مسجدنا   فصَخْرُها عن جديد الأرض مَنْسُوفُ
كانت إذا قام أهلُ الديـن فابتهلـوا   باتت تُجَاوبُنـا فيهـا الأسـاقيفُ
أصوات عُجْمٍ إذا قاموا بِقُرْبَتِهِـم   كما تُصَوِّت في الصبحِ الخطاطيفُ(٣٣)

---

(٢٧) *ديوان النابغة الشيباني*، ٧٨ – ٨٨ .

(٢٨) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٠٠ .

(٢٩) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٢٣ .

(٣٠) الكُرُح : مفردها الأكْرَاح ، وهي بيوت صغيرة بظاهر الكوفة يسكنها الرهبان .

(٣١) قفح : قفح فلانٌ عن الشيْ : إذا امتنع عنه وقفحت نفسه عن الطعام : إذا تركته . وليست في هذه المعاني ما هو قريبٌ في معناه إلى معنى الكلمة في بيت الشاعر . ولعل معناها في البيت : بمعنى خاشع .

(٣٢) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٣٣ – ١٣٤ .

(٣٣) الخطاطيف : جمع خطاف وهو طائر أسود .

فاليوم فيه صلاةُ الحق ظاهرةٌ   وصادقٌ من كتاب الله معروفُ
فيه الزبرجدُ والياقوت مُؤْتَلِقٌ   والكلْسُ والذهبُ العِقْيَانُ مَرْصُوفُ
ترى تَهَاويلَهُ من نحو قِبْلَتِنَا   يلوَحُ فيه من الألوان تَفْويفُ
وقُبّةٌ لا تكاد الطيرُ تبلَغُهَا   أعلى محاريبها بالساج مسقُوفُ

وفي قصيدة أُخرى يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، ويصف فيها الخارجين والشاغبين على البيت الأمويّ من خوارج وزبيريّة بأنهم نجسٌ مشركون ، والنجس المشركون هم أصحابُ الملل الأخرى غير الملّة الاسلامية ، يقول : (٣٤)

قَسْرا عَدُوَّكَ إن الضِّغْنَ قَاتلُهُم   وإنهم إن أرادوا غدرة تَعسُوا
لا يُبْصرون وفي آذانهم صَممٌ   إذا نعشتهم من فتنة ركسُوا
هُمُ الذين سمعتُ اللهَ أَوْعَدَهمْ   المشركون ومَنْ لم يهْوَكُم نَجَسُ

ففي صدر بيته الثاني يشير النابغة إلى قوله تعالى : **﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾** (٣٥) وفي البيت الثالث يشير إلى قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴿٢٨﴾ ﴾** . (٣٦)

وبعد عرض هذه الآراء حول تَدَيُّن النابغة ومناقشتها ، وبعد قراءة ديوانه غير مرّة ، اتضح لي جليا أن النابغة الشيباني كان مسلما صادقا ، ومؤمنا قوي الإيمان ، وكان مؤمنا بأقواله وأفعاله ، وبفكره وروحه ؛ وسأحاول إبراز هذا الجانب في شعره من خلال المحاور التالية :

أولا : الإيمان بالله

يُعَدُّ الإيمانُ بالله الركنَ الأولَ والأساسَ من أركان الإيمان ، وإيمانُ الإنسان بالله معناه أن يُوحّده بالعبادة والربوبية وأن لا يشرك به شيئا ، وإيمان الفردَ المسلم بالله يعني

---

(٣٤) *ديوان النابغة الشيباني*، ٨٧ .

(٣٥) سورة البقرة ، آية ١٨ .

(٣٦) سورة التوبة، آية ٢٨ .

الإقرار بأن الله هو الخالق لكل شيء ، وهو المُدَبِّرُ لأمور خلقه لا يَعْزُبُ عنه مثقالُ ذَرَّة في الأرض ولا في السماء . ويقتضي الإيمان بالله من المؤمن الإذعان لأوامر الله ، وأن يمتثل لأمر ربّه في أقواله وأفعاله ، وفي سرِّه وعلانيته ، لأن الإنسان «لمّا رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه ، وألقى قِيَادَتهُ إليه خارجا عن تدبيره واختياره ، إلى حسن تدبير الله واختياره ، فوجد لذاذةَ العَيش وراحةَ التفويض ، ولمّا رضي بالله ربّا كان له الرضى من الله ، وأوجده الله حلاوة ذلك ، ليعلم ما منّ به عليه ، وليعلم إحسان الله إليه . »(٣٧)

لقد أدرك النابغة الشيباني هذه المعاني جميعها ، واستوعبها استيعابا شاملا وقد بدت واضحة جلية في شعره ، فهو يؤمن إيمانا حقيقيا بأن الفقرَ والغنى من الله ، ولا يرتبط الغنى أو الفقر بالحظوظ ، ولا بمقدار سعي الإنسان المسلم في حياته لكسبه ، بل الله هو الرازق وهو وحده القادر على ذلك يقول النابغة : (٣٨)

وأرى الفَقْرَ والغنى بيــــد اللــ ــه وحتــفَ النُّفُوسِ في الآجال

وآمن إيمانا عميقا بأن الله تعالى هو الباقي ، وهو القاهرُ فوق عباده ، وما سواه يفنى ويزول ، يقولَ : (٣٩)

إن تَمُتْ أنفــس الأنام فــإنَّ اللّــ ــهَ يبــقى وصالــحَ الأعمـــال

فهو يُؤمن أن المخلوقات جميعها فانيةٌ زائلةٌ ، والله تعالى هو الباقي وحده ، ويشير النابغة إلى قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٤٢﴾ ﴾ (٤٠) ويُشيرُ أيضا إلى قوله تعالى : ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴿٢٧﴾ ﴾ . »(٤١) وقد أكّدَ النابغة هذه المعاني وألَحَّ عليها ، مما يدل على أنَّ الشاعر قد تمثَّل هذه المعاني بعقله

---

(٣٧) طاهر عبد اللطيف عوض ، *الإسلام في شعر حمام* ، ط١ (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٥م) ، ١٠٢ .

(٣٨) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٤٩ .

(٣٩) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٥٠ .

(٤٠) سورة الزمر، آية ٤٢ .

(٤١) سورة الرحمن، آية ٢٧ .

وبصيرته ، ولـم يكن تَنَاوُلُهُ لها تناولا سطحيا ، يقول : (٤٢)

وقلت وقد مرّت حُتُوفٌ بأهلها   ألا ليس شيء غير ربِّيَ غـابرُ

ويقول : (٤٣)

وأعلم أن لا شيء يبقى مُؤمــلا   خــلا أن وجهَ الله ليس يَبُورُ

ويؤمن النابغة إيمانا راسخا بأن الله هو مبدأ كل شيء ومنتهاه ، وهو الظاهرُ والباطنُ وهو اللطيفُ بعباده ، وهـو الأول والآخرُ وهو الكريم الحلّيم ، لا مُعَقّب لحكمـه ، يغفرُ الذنوبَ لمن يشاء من عباده ، ويقبل التوبَ ممَّن يشاء من عباده ، وهو وحده الرازق ، وهو القادرُ والقاهرُ فوق عباده ، يقول النابغة : (٤٤)

هو الباطن الربُّ اللطيف مكانُهُ   وأول شـيء ربُّنـا ثـم آخــرُ
كريـمٌ حليمٌ لا يُعَقّـَب حكمـُهُ   كثير أيادي الخَير للذنـب غافـرُ
يُنيمُ حصادَ الزرع بعد ارتفاعــه   فتفنـى قرونٌ وهـو للزرع آبــرُ

ويظهر أثر القرآن واضحا جليا في معاني النابغة جميعها ، فهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ۝٣ ﴾ ، (٤٥) وإلى قولـه تعالى : ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ۝٣ ﴾ . (٤٦) ويشير النابغة في قوله «يُنيم حصادَ الزرعَ . . . وهو للزرع آبرُ» إلى قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ۝٢١ ﴾ . (٤٧)

إن إيمانه بالله يجعله يُدرك أن الله هو الذي يؤيد عباده ، وأن اللهَ هو الـواهبُ كُلَّ شيءٍ عبَادَهُ ، وهو يُدرك أيضا أن ما عنده وما به من نعمة فهو بتأييد من الله ونصره ، لذلك

---

(٤٢) *ديوان النابغة الشيباني*، ٦٧ .

(٤٣) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩٠ .

(٤٤) *ديوان النابغة الشيباني*، ٦٨ .

(٤٥) سورة الحديد ، آية ٣ .

(٤٦) سورة غافر ، آية ٣ .

(٤٧) سورة الزمر ، آية ٢١ .

فإنّ إيمانه بالله يمنعه من الوقوع في المحرمات ، ويبعده عن طريق الآثام التي تورُث صاحبها الحسرةَ والندامة ، يقول : (٤٨)

أبى لي ما غلبتُ به الأعادي   عطاءُ الله من شعْري وبَطْشي
ولولا اللهُ ليس له شريكٌ   إلهُ الناس ذو مُلْكَ وعرشيَ
لَبَاكَرَني من الخُرطُوم كأسٌ   تكاد سُؤُورُ نَفْحَتَها تُنَشِّي

وقول النَابغة : «ولولا الَله ليس له شريك» إشارةٌ واقتباسٌ من القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ . (٤٩) ويقول تعالى : ﴿ **الَذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)** ﴾ . (٥٠)

ثانيا : التقوى

عندما أشرق الإسلام بنوره على الجزيرة العربية ، أكَّد القرآنُ الكريمُ على مبدأ عظيم وسام وهو (التقوى) ، والتقوى تمثلُ لُبَّ العقيدة وجوهرَها الأصيل ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ (٣)** ﴾ . (٥١) ويقول عزَّ وجل : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)** ﴾ . (٥٢) وقد جاءت رسالةُ الاسلام لتدعو المؤمنين بربِّهم إلى التمسُّك بهذا المبدأ العظيم ، وتَعدُهُم أيضا أن التقوى خيرُ زاد وذخيرة للإنسان المؤمن في دنياه وآخرته . كما أن الإسلامَ أكَّدَ أنَّ مقياسَ التَّفَاضُل بينَ الناس هُو التقوى ، وليس المال أو الجاه أو السلطان إلى غير ذلك من أمور الدنيا الفَانية الزائلة ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّه أَتْقَاكُم (١٣)** ﴾ . (٥٣) ولأهميَّةِ هذا المبدأ فقد ذكَّرَ الرسولُ الكريمُ

---

(٤٨) ديوان *النابغة الشيباني*، ٧٤ .

(٤٩) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ - ١٦٣ .

(٥٠) سورة الفرقان ، آية ٢ .

(٥١) سورة الطلاق ، الآيتان ٢ - ٣ .

(٥٢) سورة البقرة : آية ١٩٤ .

(٥٣) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

صلوات الله عليه جموعَ المؤمنين في حجَّته الأخيرة - حجَّة الوداع - فقال : «أوصيكم عباد الله بتقوى الله . . . . أيها النّاسَ إنَّ ربّكم واحدٌ ، وإنَّ أباكم واحد ، كُلّكُم لآدم ، وآدمُ من تُرابٍ ، أكْرَمُكُم عند الله أتقاكُم ، وليس لعَرَبِيٍّ على عجمي فضْلٌ إلاّ بالتقوى . »(٥٤)

لقد استلهم النابغة هذه المعاني ، واستوعبها استيعابا واعيا وشاملا ؛ فالسعادة الحقيقية عند الإنسان المسلم تَتَمَثَّلُ في تقواه ، وليس في جمع المال وكَنْزه ، والسّعيدُ هو الذي يَتَّقي ربّه ، والعاقلُ الرشيدُ هو الذي يهتدي بهَدْي رَبِّه ، وتقوى اللهَ هي خيرُ ذخيرةٍ للإنسانَ المؤمن ، وسَيُجَازيه ربُّه على تقواه خير الجَزاء ، يقول النابغة :(٥٥)

وجدتُ الناسَ شَتّى شيمَتَاهُم ... غَويٌّ والذي يُهدى رشيدُ
ولستُ أرى السعادةَ جَمْع مال ... ولكنّ التقيَ هو السّعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخْراً ... وعند الله للأتقى مَزيدُ

والإنسان المؤمن الذي يَتَّقي ربَّهُ ، تكون تقواه زاجرة له عن فعلِ السيئات والابتعاد عن الطريق التي تؤدي إلى فعل الشر ، كما تجعلُ الإنسانَ المؤمنَ يبتعد عن طريق اللذات التي تُورثُ الحسرةَ والندامةَ ، «فالتقوى تجعل الإنسان المسلم يتوجَّهُ إلى رَبِّه وخالقه في كُلِّ مناسبة ويؤمن بقيامه - سبحانه - على كل نفس ، ويؤمن أن الدنيا ليست دارَ جزاء ولا بقاء ، بل هي دارُ اختبار تكشفُ عن مدى صلابة الفرد في إيمانه بربّه ، وصدق دعواهُ في طاعته . »(٥٦) يقول النابغة :(٥٧)

وتُعْجبُني اللذاتُ ثم يَعُوجُني ... ويَسْتُرُني عنها من الله ساتِرُ
ويَزْجُرُني الإسلامُ والشيبُ والتُّقَى ... وفي الشَّيب والإسلام للمرءِ زاجِرُ

---

(٥٤) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، *البيان والتبيين*، ط ٤ ، تحقيق عبد السلام هارون (بيروت : المجمع العلمي العربي الإسلامي ، د.ت.) ، ٢ : ٣٣ .

(٥٥) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩٨ - ٩٩ .

(٥٦) عوض، *الإسلام*، ٩٧ .

(٥٧) *ديوان النابغة الشيباني*، ٦٧ .

وأحكمُ الرجال وأفضلُهم هُمُ الأتْقِيَاءُ ، والذي لاَ يَّتقِي ربَّه طائشٌ أحمق ، يقول النابغة : (٥٨)

فَأحْكَمُ ألْبَاب الرجـال ذَوُو التُّقى   وكُـلُّ امـرئ لا يَتَّقـي اللهَ أحمقُ

وكلُ امرئ يَحيدُ عنَ هذا المبدأَ فهو جائرٌ بحق ربّه وبحقِّ نفسَه ، يقَول : (٥٩)

ومَّن يُنَّصفُ الاقوامَ ما فات قاضيا   وكُـلُّ امرئ لا يتقي اللـهَ جـائرُ

وتقواهُ وحلْمُهُ وشَيْبُهُ يمنعه من فعل السيئات ، وتَكُفُّهُ عن طَريق الضلال ، يقول : (٦٠)

كَفّنـى الحلـم والمشيب وعقلي   ونهـى الله عـن سبيـل الضلال

والإنسان الذي يَتَّقِي الله يعفو عن الناس ، ويصفحُ عن زلاّتهم ، ويتَجاوزُ عن أخطائهم وهَفَوَاتهم ، وهَو الذي يدفع أذاهم بحلْمه وتقواه ، يقول : (٦١)

وأقتُلُ جهَلَ المرء بالحلـْم والتُّقى   وَإنَ رَاَم قَرْضي حال من دونه قَرْضي

وتقوى الله تجعلَ الإنَسانَ المؤمن يراقب ربّه في سِرِّه وعلانيته ، والتقَوى خيرُ الخِلال :

إن مـن يركب الفواحشَ سرا   حيـن يخلُو بسَـوْءَة غيرُ خال
كيـف يخـلوُ وعنـده كَاتبَاهُ   شَاهـدَيْه وربُّـهُ ذوَ المحَـالَ
فاتق اللهَ ما استطعتَ وأحسنْ   إن تقـوى الإله خيـرُ الخـلاَل(٦٢)

ويشير النابَغة في البيت الثاني إلى قوله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْه منْ حَبْلِ الوَرِيد (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَان عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفظُ من قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْه رَقِيبٌ عَتيدٌ (١٨) ﴾** . »(٦٣)

ويظَهر تَمسُّك الشاعرَ بمبَدأ التقَوى من خلال مدائحه للخلفاء الأمويين ووُلاة عهدهم ، وهذا الالتفاتُ من الشاعر لهذا المبدأ العظيم قلّما نجدُهُ عند غيره من الشعراء

---

(٥٨) *ديوان النابغة الشيباني*، ٦٧ .

(٥٩) *ديوان النابغة الشيباني*، ٦٩ .

(٦٠) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٤٩ .

(٦١) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٣٩ .

(٦٢) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٥١ .

(٦٣) سورة ق ، الآيات ١٦ – ١٨ .

الذين مَدَحُوا خلفاء بني أمية ، فابتعد النابغة بهذا عن المألوف في مدائح الشعراء ، ونراه يستغل هذه المعاني الدينية في مديحه ، يقول في مدح يزيد بن عبد الملك : (٦٤)

وحباه المليك تقوى وبِرّا   وهو من سُوس ناسك وصّال
يقطع الليلَ آهَةً وانتحابا   وابتهالا لله أيَّ ابتهالَ
تارة راكعا وطورا سُجُودا   ذا دُمُوع تَنْهَلُّ أيَّ انهلالَ
وله نحبةٌ إذا قام يتلو   سُوَرا بعد سورة الأنفالَ
عادلٌ مُقْسطٌ وميزانُ حقٍّ   لم يَحِفْ في قضائه للمواليَ
مُوفيا بالعهود من خشية اللـ   ـه ومَن يعفهُ يكن غير قالَ
محسنٌ مجملٌ تقيٌ قويٌ   وهو أهل الإحسان والإجمالَ

فالخليفة يزيدُ بن عبد الملك أعطاه اللّهُ التقوى والبرَّ ، وهو يقطعُ لَيْلَهُ في الصلاة وتلاوة القرآن حتى اذا مرَّ بآيات اللّه انْهَمَلَتْ الدموعُ من عينيه خشية من الله ، تسمعُ له نَحيبا في الليلَ وهو يتلو آيات اللَه البَيِّنات ، وهو إمام عادلٌ مقسطٌ ، موفيا لعهد الله إذا عاهد ، وهذه صفات المؤمن التقي .

وعندما مدح النابغة مسلمة بن عبد الملك وصفه بأنه يتم الوعودَ ويُمضي العهود بعد إبرامها ، وأنه تقيٌ ، لا يُثنيه عن تقواه كسلٌ أو تقاعُس ، يقول : (٦٥)

لا يَنقُضُ الأمرَ إلا رَيْثَ يُبْرِمُهُ   وليس يُثْنيه عن أمر التُّقى كَسَلُ

وعندما مدح النابغة عبدَ العزيزِ بن الوليد بن عبدَ الملك ، وأراد تَزْكيَتَهُ لولاية العهد بعد أبيه ، نعته بالتقوى والعدل ، وهو يطبّقُ شرع الله ، يقول : (٦٦)

وهو الثالث الخليفة للـ   ـه إمامٌ للمؤمنين أميرُ
إن أرادوا التُّقى فعدلٌ تقيٌّ   أو أرادوا عدلا فليس يَجُورُ

إن هذه الصورةَ من مدائح الخلفاء وولاة العهد تُعَدُّ تجديدا من النابغة في غرض المديح ، شارك فيها النابغة غيره من شعراء الاحتراف كجرير والفرزدق والأخطل

---

(٦٤) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٥٨ - ١٥٩ .

(٦٥) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٠٩ .

(٦٦) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٤٩ .

والراعي، وذلك لحرص الخلفاء الأمويين على أنْ تُنسب إليهم هذه الفضائل الدينية ليواجهوا بها خصومهم من أصحاب المذاهب الأخرى المناوئة لهم، حتى أن الخلفاء الأمويين -وهم أكثر الخلفاء وأَشَدُّهُم حساسية لسماع ما يُقال عنهم- كانوا يضيقون ذرعا بهذه الصفات المادية التي يَخْلَعُها الشعراءُ عليهم، فقد رُوي أن عبد الملك بن مروان قال لعبيد الله بن قيس الرقيات بعد أن مدحه بقصيدته التي يقول فيها: (٦٧)

إن الأغرَّ الذي أبوه الـ   عاصي عليه الوقار والحجبُ
يعتدل التاجُ فوق مفرقه   على جبين كأنه الذهبُ

قال له عبد الملك: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجَم وتقول في مصعب:

إنَّما مُصعبٌ شهابٌ من الله   تَجَلَّتْ عن وجهه الظلماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ ليس فيه   جَبَرُوتٌ ولا به كبرياءُ(٦٨)

إن الصورة السابقة التي يرسمها النابغة الشيباني للخليفة تذكرنا بالصورة التي نجدها في أدب الخوارج -شعره ونثره- في وصف مُعْتَنقي مَذْهَبِهِم، من مثل قول عمرو بن الحُصَيْن العنبري في رثاء شهداء الخوارج: (٦٩)

إلاَّ تَجيئُهُمُ فإنهُمُ   رُجُفُ القلوب بحَضْرة الذكر
مُتَأوهُوَن كأن جمرَ غضا   للموت بين ضلوعهم يَسْري
تلقاهم إلا كأنَّهمُ   لخُشُوعهم صَدَروُا عن الحَشْر
فَهُمُ كأنَّ بهم جوى مرضٍ   أو مَسَّهُم طرفٌ من السِّحْرِ
. . . . إلى آخر القصيدة.

ونجدها في وصف أبي حمزة الشاري لأصحابه من الشُّرَاة، يقول في إحدى خُطبه: « شبابٌ والله مُكْتَهلون في شبابهم، غضيضةٌ عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم،

---

(٦٧) انظر القصيدة: عبيد الله بن قيس الرقيات، *ديوانه*، تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت: دار صادر، ١٩٨٠م)، ١ - ٦.

(٦٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ٥: ١٧٢٣.

(٦٩) إحسان عباس، *ديوان شعر الخوارج*، جمعه وتحقيقه، ط٤ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٢م)، ٢٤٨.

أنضاءُ عبادة وأطلاحُ سَهر . . . . كُلّما مَرَّ أحَدُهُم بآية من ذكر الجنّة بكى شوقا إليها ، وإذا مرّ بآية من ذكر النار شَهَق شهقة كأن زفيرَ جَهَنّمَ بين أُذُنَيْه ، أكَلَت الأرضُ رُكَبَهُم وأيديَهُم وأُنوفَهُم وجبَاهَهُم ، وصَلُوا كَلاَل الليل بكَلاَل النهار . »(٧٠)

وهذه الصورة التي يرسمها النابغة الشيباني في مدائحه لخلفاء بني أميّة تعد تجديدا في غرض المديح وتطويرا له كما أسلفتُ.

ثالثا : الإيمان بالقضاء والقدر وحتمية الموت

عندما يؤمن الإنسان إيمانا حقيقيا ، وعندما يرضى بالله ربّاً لا شريك له ، ينقاد الإنسان المؤمن لإرادة الله ، ويُسلم أمره إليه ، ويُؤمن أن الله هو الذي يُحيي ويُميت وهو الذي يَتَوَفّى الأنفس حين موتها ، كما يُؤمن أن لكُلِّ نفس أجلها ، وأن الموتَ حتمٌ لا بُدّ منه ، وهو نهاية كل حيٍّ لا يُنْجيه منه شيءٌ ، يقول النابغة: (٧١)

إنّي وجدتُ سهام الموتَ مَعْدنُهَا   بكلِّ حتم من الآجال مكتوبُ

كما يُوقن الإنسانُ المؤمنُ أن اللهَ قادرٌ بأن يجعل بعد عُسْرٍ يُسْرا ، وأن ما يُصيب الإنسان من خير أو شرٍّ إنما يكون بإرادة الله وبمشيئته ، وأن الإنسانَ لا بُد أن يظعن يوما إلى مصيره المحتوم ، يقول النابغة : (٧٢)

وجدتُ الثراءَ والمصيبات كُلَّها   يَجيءُ بها بعد الإله المقادرُ
فإن عُسْرةٌ يوما أضَرَّتْ بأهلها   أتتْ بعدها ممّا وُعدْنا المياسرُ
ونازلُ دار لا يُريدُ فراقها   ستَظْعَنُهُ عما يُريدُ الجرائرُ

ويشير النابغةُ في البيت الأولَّ إلى قوله تعالى : **﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾** . » (٧٣) وإلى قوله تعالى : **﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ**

---

(٧٠) الجاحظ ، *البيان والتبيين*، ٢ : ١٢٥ .

(٧١) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٦٨ .

(٧٢) *ديوان النابغة الشيباني*، ٦٨ – ٦٩ .

(٧٣) سورة التغابن ، آية ١١ .

يَسيرٌ ۝٢٢ ﴾ . »(٧٤) كما يشير أيضا في البيت الثاني إلى قوله تعالى : ﴿ **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧** ﴾ . »(٧٥)

ويؤمن النابغة – بوَحْي من إيمانه وتقواه – أن لا شيءَ يبقى على حاله ، ولا يدومُ عيشٌ ، ويؤمن أيضا أنَ الحياةَ فانيةٌ ؛ فالإنسان يُولد صغيرا لا حيلة له ولا قوة ثم يكبر فتتملكه سَوْرةُ الشباب وفَوْرَتُه ، ثم يُدْرِكُ بعد حين أنَّ هذا الشبابَ لا يدوم ، فيكتسي بعد القوة ضعفا ، فتثقل خُطُوَاتُهُ ، ويسير فَي النهاية إلى نهايته المحتومة ، ولا يُغني عنه سانحٌ أو بارحٌ ، ولا ينفعه إشفاق المُشفقين ولا بُكاء الباكين ، فَحَالُ الإنسان كحال البدر الذي يَكُونُ هلالا في البداية ثم يكبُرُ حتى يصبحَ بدرا مكتملا ثم يعود محاقا ، يقولَ النابغَةَ : (٧٦)

كُلُ عيش ولذة ونعيم   وحياة تؤدي كَفَيء الظلال
ليس ماءٌ يُروى بهَ مُعْتَفُوهُ   وأتن لا يغور كالأوشالَ
قد يَغيضُ الفتى كما ينقص البَدْ   وكلّ يصير كالمُسْتَحَالَ
فَمَحَاقٌ هذا وهذا كبيرٌ   بعدما كان ناشئا كالهلالَ
ليس يغني عنه السَّنيحُ ولا البُرْ   حُ ولا مُشْفقٌ زمَام قبالَ
فإذا صار كالبَلَيَّة قحْما   هو مَرُّ الأَيام بعَد الليالي
وكَسَتْه السنون شيبا وَضعفا   وطوتْ خطوهُ بقيد دخال
عاد كالضبّ في سنين مُحُول   عاد في جُحْرِه حليف هُزَالَ
ليس حيٌّ يبقى إن بلغ الكبْـ   ـرَة إلا مصيرُهُ لزوالَ
كل ثاو يثوي لحين المنايا   كَجَزُور حَبَسْتَها بعقَالَ

فالكل إلى زَوَال ومحال ، ولا حيَّ يبقى ؛ فالذي يعَيش في نعيَم أو الذيَ يعيش في شقاء ، والذي يملك المَال والذيَ لا يملكه كلهم سواءٌ ومُتَسَاوُونَ أمام الموت ، لا يفرق الموتُ بين أحد منهم كما أنّ الشامت بموت الناس ستَطَالُهُ المنيةُ يوما ما كما طالتْ غيرَهُ من الأمم والحضارَات التي سادت ثم بادت بأمر ربها ، يقول : (٧٧)

---

(٧٤) سورة الحديد ، آية ٢٢ .

(٧٥) سورة الطلاق ، آية ٧ .

(٧٦) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٤٩ – ١٥٠ .

(٧٧) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩٨ .

إذا ما المرء غالته شعوبٌ   فما للشامتين به خُلُودُ
وكُلُّ مُنَعَّم وأخي شقاء   ومُثْرٍ والْمُقل معًا يَبيدُ
إذا ما ليلة مرّت ويومٌ   أتى يَومٌ وليلته جديدُ
أبار الأوَّلين وكلَّ قرن   وعادا مثلما بارت ثمودُ

ويُؤْمنُ النابغةُ بحتمية الموت ، وأنَّه يصيب الإنسان عندما ينتهي أجَلُهُ ، وهو يصيب العباد كبارا وصغارا ذكورا وإناثا ، ظاعنين ومقيمين ، يقول الله تعالى : **﴿ قُل لاَّ أَمْلكُ لنَفْسي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لكُلِّ أُمَّة أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾** ،(٧٨) يقول النابغة :(٧٩)

قد يَرْجعُ المرءُ لا تُرجى سَلاَمَتُهُ   وقد يُصيبُ طويلَ القعْدَة التلفُ

ويسعى الإنسان في حياته لطلب الرزق ، وهو يُؤَمِّلُ الثراءَ ، وكأنه يضمن الخلود لنفسه ، وهو لا يعلم أن الموت سوف يُبْليه ، وسوف يُغَيِّرُ جدَّتَهُ إلى بلى واندثار ، وهو لا يعلم أيضا أنّ دُونَ ما يطلبه ويُؤَمِّله الأقدارَ والآجالَ ، يقول النابغة :(٨٠)

فقلتُ للنفس سرا وهي مُثْبَتةٌ   والحلمُ منِّي إذا ما معشرٌ جهلوُا
كم من مُؤمِّل شيئا ليس يُدْركُهُ   والمرءُ يُزري به في دهره الأملُ
يَرجُو الثَّراءَ ويرجُو الخُلْدَ ذو أَمل   ودون ما يرتجي الأقدار والأجلُ
والدهرُ يُبْلي الفتى حتى يُغَيِّرَهُ   كما يُغَيِّر بعد الجدَّةُ السَّمَلُ

ويقول أيضا :(٨١)

وكل امرئ إن صحَّ أو طال عُمْرُهُ   إلى ميتة لا بُدَّ سوف يصيرُ
يُؤَمِّلُ في الأيام ما ليس مُدركا   ولَيْسَ لَهُ من أنْ يَنَالَ خَفيرُ

وما دام الموتُ آتيا لا محالة ، وما دام عمر الإنسان ينتهي عندما ينتهي أجله ، فلاَ تُنجيه من الموت أرضٌ يَحلُّ أو قصورٌ يُشيِّدُها ، يقول النابغة :(٨٢)

---

(٧٨) سورة يونس ، آية ٤٩ .

(٧٩) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٥٥ .

(٨٠) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٨١) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩٠ - ٩١ .

(٨٢) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩٨ .

ولا يُنْجي مـن الآجـــال أرضٌ   يحـلُّ بهـــا ولا القصــرُ المَشيـدُ

وهو يشـــير إلى قَـــوله تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾﴾ .(٨٣) فكلُّ مَنْ على الأرض سائرٌ إلى نهايته المحتومة ، مهما بلغت مَرْتَبَتُهُ ، ومهما علتْ مَنْزِلَتُه ، يَقُولُ النابغة :(٨٤)

فقُلْ لِلْمُتقي حَــدَثَ المنـــايا   تَوَقَّ فليـس ينفعـــك اتقاءُ
ولا تبك المُصَـابَ وأي حـــيٍّ   إذا مـــا مـــات يُحييه البكاءُ
ستفنى الَراسيـاتُ وكـلُّ نفس   ومــال ســـوف يبلغـه الفنـاءُ
يُعَمَّرُ ذو الزَّمَانَة وهـو كــــلٌّ   على الأدنـى وليس لــه غناءُ
وَيُردى المرءُ وهو عميدُ حــيٍّ   ولو فَادوهُ ما قُبِـل الفـــداءُ
إذا حانــت منيتُــهُ وأوصـى   فليس لنَفْسه منهـــا وقـــاءُ

رابعا : الأخلاق والمعاملات

إن النفسَ المؤمنة التي تتَّقي الله حق تقواه لا يصدر عنها إلا طيبا ، لذلك نرى النابغة الشيباني يَدْعُونا أن تكون معاملَتُنا للآخرين في حُدُود ما أمرنا به الدين فهو يدعو إلى صلة الأرحام التي أوصانا بها سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ .(٨٥) ويقول تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ .(٨٦) فصلةُ الأقربين هو طريقُ الحق ، وقطعُ الأرحام مُطَّلَعٌ كَؤُود ، يعود على المرء بعاقبة وخيمة ، يقول النابغة :(٨٧)

ووصلُ الأقربين سبيــلُ حَــقٍّ   وقطـــعُ الرَّحـمِ مُطَّلــعٌ كَــؤُودُ

---

(٨٣) سورة النساء ، آية ٧٨ .

(٨٤) *ديوان النابغة الشيباني*، ١١٢ - ١١٣ .

(٨٥) سورة النساء، آية ١ .

(٨٦) سورة محمد ، آية ٢٢ .

(٨٧) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٠٠ .

وقد دعا النابغة الشيباني إلى عدم مطاوعة جُمُوْحِ الشباب وطيشهم ونَزَقهم ، لأن طريق الشباب طريقُ الغواية والفساد. كما دعا إلى الاتعاظ بالمشيب ؛ لأنه إيذَانٌ بانتهاء رحلة العمر ، فمطاوعة هوى الشباب وجُموحِهِ جُنونٌ ، وعدم الاتعاظ بالمشيب إفراطٌ وعُنُفٌ ، يقول : (٨٨)

ذرالشبـــاب فلا تتبــعْ لَذَاَذَتَـــهُ   إن الــذي يَتَّبعُ اللــذات مُقـتَرفُ
إنَ الشبابَ جُنُونٌ شــرخُ باطلــه   يُقيـمُ غضـاَ زمانـا ثم ينكشــفُ
من يَعْلُهُ الشيب لم يحدث له عظَةَ   فذاك من سُوسه الإفراطُ والعنفُ

وقد أدرك النابغة أيضا أن غنى الإنسان أو فَقْرَهُ لا يرتبطُ بمال ، بل إن الغنى هو غنى النفس ، وفَقْرُ النفس هو الشقاء الحقيقي ، وقد ينمو مال الجواد الكَّريم ويقل مال الحريص الشحيح النفس ، يقول : (٨٩)

ولا يُعطي الحريصُ غنى لحرص   وقــد ينمو لذي الجود الـثراءُ
غنيُّ النفس مـا استغنت غنـىً   وفَقـرُ النفس مَا عَمـرَتْ شقاءُ

فالمال لا ينفعُ النفسَ الشحيحةَ ، كما أن السخاءَ لا يُزْري بَنفس صاحبه ، فما دام الأمر كذلك ، فليعمل الإنسان صالحا ، وليتصدق من ماله مما أعطاه الله ، لأنَّ النماء الحقيقي هو الذي يُقدمه الإنسان لآخرته ، والخسران والنقص ما يُؤَخِّرُه الإنسان في دنياه ، فالعمارة الحقيقية هي لآخرة الإنسان لا لدنياه الفانية الزائلة ، يقول : (٩٠)

وليس بنافـع ذا البخـل مــالٌ   ولا مُـزر بصاحبـه السـخاءُ
وما أخّـرت مـن دُنْيَاكَ نقـصٌ   وإن قدَّمـت كــان لك الزَّكَاءُ

ودعا النابغة الشيباني إلى الاتصاف بالأخلاق الحسنة ، ومنها الحلم ، والإنسان المؤمن هو الذي يتصف بالأناة ويتجاوز عن أخطاء الناس وهفواتهم ، والحليم من الناس هو الذي يحافظ على أعراض الناس حتى يبقى عِرْضُهُ مَصُونا ، يقول : (٩١)

---

(٨٨) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٥٣ .

(٨٩) *ديوان النابغة الشيباني*، ١١١ .

(٩٠) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٦٩ .

(٩١) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٥١ .

وإذا كنــــت ذا أنَــاة وحلْــم   لم تَطرْ عنــده طيرةُ الجُهَّـال
وإذا ما أذلْــتَ عرْضَــكَ أوْدى   وإذا صِيــنَ كان غيـر مــذالَ

كما أن الحياءَ والحلمَ مَن صفات الإنسان العاقل ، والإنسان الحَيِّي الحليمُ هو الذي يسود الناس بمعاملتهم بالطيب من القول والعمل والسلوك ، ولا يَسُودُهُم بكثرة أولاده أو أمواله ، يقول النابغة : (٩٢)

إذا استحيا الفتى ونشــا بحلم   وســــاد الحيَّ حَالَفَهُ السنـاءُ
وليس يَسُودُ ذو وَلَــد ومــالٍ   خفيــــفُ الحلْم ليس له حَيَاءُ
ومن يَكُ ذا حيا لم يُلْقَ بؤساً   يَنــُـخْ يوماً بعقْوَتـه البـلاءُ

وعلى الإنسان أن يصاحب الإنسان الحليم وأن يَصِلَهُ بوَدٍّ ومَعرفة ولا يجافيه ، وأن يبتعد عن السفهاء ، لأن مصاحبتهم داءٌ ، كما أن فراقهم وعدم مطاوعتهم في أمورهم شفاءٌ للنفس ، يقول النابغة : (٩٣)

أَصِبْ ذا الحلم منك بسَجْلِ وُدٍّ   وَصِلْــهُ لا يكـن منك الجفاءُ
ولاَ تَصِلِ السَّفيــهَ ولاَ تُجبْــهُ   فإنَ وصــالَ ذي الخربـات داءُ
وإنَّ فراَقَــهُ فـي كُـلِّ أمَــــر   وصَرْم حبال خُلَّتـه شفـــاءُ

كما دعا النابغة إلى مصاحبة ذوي الأخلاق الحسنةَ ، وعدمَ مصاحبة ذوي الأخلاق القاسية الحادة والطبائع العنيفة الذين يُحَاسِبُونَك على كل زَلَّةٍ ، ويُؤاخِذُونَك على كل هفوة ، يقول : (٩٤)

فصاحب كــلَّ أروع دَهْثَمِــيٍّ   ولا يصـحبك ذو الغَلَق الحديدُ
يرى مــا نال غنما كل يــوم   صفــاةٌ حين تخبـره صَلُــودُ
وشــرُّ مُصَاحب خلقٌ قســيٌّ   ونعــم الصاحبُ الخُلُقُ السديدُ

كما دعا أيضا إلَى اختيار الأصدقاء الذين يتصفون بالتقوى والدين والحلم والعقل والحياء ، ودعا إلى الابتعاد عن النَّمَّام حتى لو أعطى النصيحة ، لأنَّ نصيحته لن تكون

---

(٩٢) *ديوان النابغة الشيباني*، ١١١ .

(٩٣) *ديوان النابغة الشيباني*، ١١٣ – ١١٤ .

(٩٤) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩٩ – ١٠٠ .

صادقة ؛ وينطلق النابغة في هذا من رؤية دينية ، لأن الله سبحانه وتعالى قد دعانا في مُحْكَم كتَابه إلى الابتعاد عن النميمة وطريق النمّامين الذين يسعون إلى إفْسَاد علاقات الناس يقَول تَعَالى : ﴿ **وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّف مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾** ﴾ .(٩٥) يقول النابغة :(٩٦)

عليك بكل ذي حسب ودين   فإنَّهُمُ هُمُ أهلُ الوفاء
وإن خُيرت بينهم فألصقْ   بأهْل العقل منهم والحياءَ
ولاَ تثقَنَّ بالنَّمَّام فيما   حباك من النصيحة في الخلاءَ

ولهذا فإَن النابغة يَأسَى ويحزن إذا أصاب ظُلْمُهُ صديقَهُ ، ولا يفرحَ لذلك ولا يَبشّ ، وهذا اعتراف منه بعدم كمال النفس الإنسانية ، فقد يُخْطىءُ الإنسانُ ويُصيبُ بظُلْمه الناسَ ، فيُحَاسبُ نَفْسَهُ على هذه الزلّة ولا يتعنت ولا يُكَابرَ فيعترف بخطئه ، كَما أَنَ الإنسان ينصح لأخيه الإنسان إذا طلب منه النصيحة ، وإذا ماَ أصابه ظلمُ الناس فإنّه يمكن له أن يبلغ حاجته من غيرَ إفحاَش أو مبالغة في العقاب ، وقد يعفو عن زلات الناس بتوفيقٍ من الله وهداية ، وهذا هو الطريق الأفضل والأحسن ، يقول :(٩٧)

ولست إذا عرًا ظلمي صديقي   إذا ما دام من وُدِّي ببَشٍّ
وأنْصَحُ للنَّصيح إذا استراني   وأرْفدُ ذا الضغينة شَرَّ غشٍّ
ويأتيني قَوَارِصُ عن رجَال   فأبلغ حاجتي في غير فُحشِ
وأدرك صالَح الأوتارَ عفواً   بعون الله في طلبي ونَجْشيَ

ويبتعد النابغة عن طريق الجهل ، ولا يقابل الإساءة بالإساءة ، بل يقَابل أخطاء أعدائه وجهلهم بحلمه وابتسامته ، كما أنه يُدرك حاجاته من غيره بالوقار والمعاملة اللطيفة ، حفاظا على المودة ، وابتغاء لعلاقات الصداقة . وقد دعا النابغة إلى الانسجام والتوائم والتوافق في النفس البشرية وسلوكها مع الناس ، فلا يطلب الإنسَان من الناس أن يعملوا صالحا وهو لا يعمله ، ولا ينهى الإنسانُ غيرَهُ عن سيئ القول والفعل ثم يفعله ، فهذه

---

(٩٥) سورة القلم ، الآيات ١٠ - ١٢ .

(٩٦) *ديوان النابغة الشيباني* ، ٢٧٢ .

(٩٧) *ديوان النابغة الشيباني* ، ٧٣ - ٧٤ .

الأشياء ليست من صفات النفس السويّة ، وجدير بالإنسان أن يكون ناصحا لنفسه قبل أنْ يكون ناصحا للناس ، يقول النابغة : (٩٨)

فأحكمني أن أقْرَبَ الجهل عبرة   ليال وأيّامٌ مضت وشهورُ
أُضَاحكُ أعْدَائي وآدو لسُخْطهم   وقدْ وغرت منهم عليّ صدورُ
كما ربَما حاولَت أمرَا بغيَره   فأدركته وذو الحفاظ وقورُ
وأكلُ لئام الناس لَحْمي وقرصهم   ونجواهم خطبٌ عليَّ يسيرُ
فإن امرأ أبدى الشفَاءة وجههُ   فإنِّي بعورات العَدُوِّ بصيرُ
رميتُ فأقْصَدْتُ الذي يَسْتَنيصُنِي   بغُرٍّ أبَرَّت ما تزال تُعيرُ
وأعْلَمُ لَحْنَ القول من كُلِّ كَاشَحِ   وإني بما في نفسه لخَبيرُ
ألا ربّ ناه عن أمور وإنّه   بأي أمور مثلها لجديرُ
وما الناس فيَّ الأخلاق إلا غرائزٌ   كما الشعر منه مُصلدٌ وغزيرُ

وهو ينطلق في هذه الأخلاق والنصائح التي يطلب من الناس أن يَتَّصفُوا بها بوحي من تَدَيُّنه وتقواه ، وبوَحْي من الأخلاق الإسلامية السامية الرفيعة . ويشير النابغة في بيته الرابع مَنَ الأبيات السَابقة إلى قوله تعالى في كتابه العزيز : **﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اجْتَنبُوا كَثيرًا مّنَ الظَّنّ إنَّ بَعْضَ الظَّنّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحبّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيه مَيْتًا فَكَرهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحيمٌ (١٢) ﴾** . (٩٩)

وَالإنسان المؤمن هو الذي يَكُفُّه حلُمهُ ومشيبُهُ وعقلُهُ وتقُّيُدُه بأوامر الله ونواهيه عن طريق الغوايَة والضلال ، يقول النابغة : (١٠٠)

كفَّني الحلمُ والمشيب وعقلي   ونُهى الله عن سبيل الظلال

كما أنَّ الإنسان المؤمن يقتلُ جهل المرء بتقواه وحلْمه ، يقول النابغة : (١٠١)

وأقتل جهل المرء بالحلم والتقى   وإن رَامَ قَرْضِي حال من دُونِه قرْضِي

---

(٩٨) *ديوان النابغة الشيباني*، ٩١ - ٩٢ .

(٩٩) سورة الحجرات ، آية ١٢ .

(١٠٠) *ديوان النابغة الشيباني*، ١٤٩ .

(١٠١) *ديوان النابغة الشيباني*، ٢٣٩ .

وهكذا نرى أن النابغة الشيباني كان مؤمنا صادق الإيمان ، تقيا ورعا ، وبدا لنا الأثرُ الدينِّي واضحا في شعْره الوضوحَ كُلَّه ، كما يُكثرُ النابغةُ الشيباني من الاقتباس من القرآن الكريم ، بحيث يمكَن لَكَ - وبسهولة ويسر في أغلب الأحيان - ردّ كثير من المعاني الشعرية عنده إلى مصادرها من آيات القرآن الكريم . كما يَتَضحُ لنا أنَّ الأثر الديني العميق في شعره لا يتأتى له بفترة قصيرة ، بل يحتاج إلى زمن طويل ، مما يترجح لدينا أنَّ النابغة الشيباني كان مسلما من بداية حياته ، ولم يكن على دين النصرانية ثم تحوّل إلى الإسلام ، أو أنه دخل في الاسلام في سنٍّ متقدمة كما ادعى بعضُ الدارسين .

The Influence of Islam on the Poetry of al-Nabighah al-Shibani

Ali Irshaid al-Mahaseneh

Associate Professor, Arabic Dept., College of Arts,
Mu'tah University, Karak, Jordan

Abstract. This paper attempts to present the influence of Islam on the poetry of al- Nabighah al- Shibani through four main sections: belief in Allah , *taqwa* , belief in fate and the certainty of death , and morality . It also attempts to prove that al- Shibani was not a Christian as claimed by some ancient and modern scholars. On the contrary, he was a true Muslim from birth and had not converted to Islam from Christianity , nor embraced Islam at a late age as claimed by some modern researchers.